فرصة أخرى عسى ان لاتضيع:

اجتماع موسع يكرس وحدة المعارضة العراقية غسان العطية

لم تتح لحاكم، ورط بلاده وشعبه في اكثر من مأساة، فرص للخروج منها كما اتيح لحاكم العراق، ومع ذلك فرط بها الواحدة تلو الاخرى. فسجله في التعامل مع شعبه، وجيرانه وفيما بعد الامم المتحدة هو سلسلة من الفرص المضاعة.

وفي المقابل اضاعت المعارضة العراقية الفرصة تلو الاخرى للتصدي لمهمة انقاذ العراق، بدءا من انتفاضة اذار 1991، الى عقد مؤتمر بيروت للمعارضة عام 1991 بدعم اقليمي، وتشكيل لجنة العمل المشترك، مرورا بتجربة كردستان العراق، واخيرا وليس اخرا المؤتمر الوطني العراقي الموحد.

واذا كانت عاهات النظام العراقي قاتلة، فان امام المعارضة العراقية فرصة جديدة للنهوض اذا ما استطاعت عقد المؤتمر الموسع والمفتوح للجميع بنجاح في القريب العاجل.

جاءت الدعوة لعقد المؤتمر الموسع على خلفية التحول السياسي في موقف الادارة الامريكية، فبعد ان كانت تعتمد "الاحتواء" كسياسة ثابتة تجاه العراق بما يعني بقاء النظام والشعب العراقي في قفص واحد اسمه الحصار، تحول الموقف الامريكي في خريف عام 1998 لصالح "الاحتواء والاستبدال"، الذي جعل من التغيير في العراق هدفا للسياسة الامريكية، الامر الذي يعني استبدال معادلة "استمرار الحصار لاحتواء النظام" لصالح معادلة "تغيير النظام لصالح انهاء الحصار".

من هنا التقت رؤية الكثير من دعاة التغيير الديمقراطي في العراق مع التوجه الجديد للادارة الامريكية التي ادركت بدورها ان من متطلبات التغيير في العراق قيام تحالف سياسي للقوى والشخصيات المعارضة في الخارج، وكان طبيعيا ان تتوجه الى اعادة الحياة الى "المؤتمر الوطني العراقي" الذي سبق ان تخلت عنه في عام 1996. فعملت الادارة الامريكية على انعقاد اجتماع المجلس التنفيذي للمؤتمر الوطني العراقي في "وندسور" (7-8 نيسان 99) الذي تمخض عن قيام قيادة سباعية مؤقتة للمجلس التنفيذي مما فتح الطريق امام الانفتاح على الاخرين. ان مثل هذا الانفتاح -الذي اقرته القيادة المؤقتة رسميا- اصبح ضرورة لتجاوز "المؤتمر الوطني" حالة الانحسار السياسي التي يعاني منها عراقيا وعربيا ودوليا.

كما ان واشنطن بعد ان حصرت اتصالاتها وتعاونها مع المعارضة العراقية عبر "المؤتمر الوطني"، انفتحت على قوى وشخصيات عراقية ناشطة خارج اطار المؤتمر الوطني. ان عملية الحوار هذه افرزت تحالفا عراقيا تحت اسم "تيار

الوسط الديمقراطي" محاورا مع الادارة الامريكية من جهة وقيادة المؤتمر الوطني الجديدة من جهة اخرى.

ان هذا التيار يشكل اول ظاهرة توحيدية في صفوف المعارضة منذ تصدع المؤتمر الوطني العراقي في منتصف التسعينات، حيث ضم اضافة الى الحركة الملكية الدستورية والمجلس العراقي الحر واتحاد الديمقراطيين العراقيين شخصيات مستقلة منها الدكتور عدنان الباجه جي، وعارف عبد الرزاق، وغسان العطية.

وقد لايتجاوز دور هذا التحالف المفاوضات الجارية مع كل من الادارة الامريكية وقيادة المؤتمر الوطني المؤقتة، وقد ينتهي بفشلها او يتطور انطلاقا من مبدأ "شركاء في الرأي وليس في التنظيم" الى تيار فاعل ومساعد في وحدة المعارضة العراقية.

هذا وقد تبلورت بين اطراف تيار الوسط الديمقراطي خلال هذه الفترة من الحوار بين اطراف التيار نفسه، والمفاوضات المستمرة بينه وبين الاخرين القناعات المشتركة التالية:

- مركزية الدور الامريكي في التغيير في العراق، الامر الذي يتطلب تحالفا بين قوى التغيير العراقية مع الولايات المتحدة على قاعدة وحدة العراق في ظل نظام ديمقراطي تعددي يحترم حقوق الانسان وحقوق القوميات والطوائف المختلفة.
- التحالف بين قوى التغيير العراقية والولايات المتحدة ضرورة لما بعد التغيير بما يحقق رفع العقوبات واعادة النظر في الديون والمساهمة في اعادة اعمار العراق وتأهيلة اقليميا ودوليا، وحمايته من التهديدات الخارجية.
- ليس في كل ما طرح من قبل الولايات المتحدة لحد الان مشروع واضح للتغيير، ولكن التساؤل عن مدى جدية الموقف الامريكي لابد ان يقابله تساؤل عن مدى جدية قوى المعارضة (تنظيمات وشخصيات) في تجاوز خلافاتها الثانوية لصالح هدف التغيير الديمقراطي في العراق، خاصة وان مسؤولية التغيير تقع على عاتق ابناء العراق اولا مع الاستفادة من اي دعم اقليمي ودولي لصالح التغيير.
- ان التعاون والتعامل مع الولايات المتحدة يجب ان يخضع لضوابط تحكمها المصالح المشتركة وليس الاحتضان، او الالحاق، واي دعم سياسي او مادي يجب ان يكون ضمن صيغة مؤسسية، وليس فردية، خاضعة للمراقبة والشفافية والمسائلة.
- رغم تفاوت موقف الحكومات العربية والاقليمية من المعارضة العراقية، الا انه يبقى خاضعا لاعتبارات محلية واقليمية ودولية تحول دون تطوره لدور فاعل في دعم المعارضة العراقية، (وقد تتحمل المعارضة العراقية بعض المسؤولية في هذا العزوف)، وعليه وفي غياب الدور العربي والاقليمي يصبح الدور الامريكي والاوروبي

ضرورة. ولكن نجاح المعارضة العراقية في عقد مؤتمرها الموسع التوحيدي كفيل في مراجعة بعض الدول العربية لموقفها المتردد او السلبي من المعارضة.

- ان عبء التغيير سيقع حتما على قوى الداخل، ولكن وحدة قوى المعارضة في الخارج هي ضرورة لاسناد قوى التغيير في الداخل، واداة لانضاج الرؤية المشتركة لعراق ما بعد صدام بما يعجل عملية التغيير من جهة، ويوفر مناعة ضد مخاطر الصراعات المحتملة.
- بما ان دور المعارضة في الخارج سيكون سياسي واعلامي بالدرجة الاولى، فالمطلوب استقطاب ومشاركة النخب العراقية الكفؤة والقادرة على العمل كفريق، وهذه قد نجدها في مؤسسات اكاديمية وعلمية واقتصادية وليس حصرا في تنظيمات حزبية مهما كبر حجمها.
- المطلوب اطار سياسي عراقي يحظى، بقدر المستطاع، بقبول دول "القرار" والجوار، وقبل هذا وذاك ثقة الشعب العراقي.
- ان اصرار الادارة الامريكية على اعتماد "المؤتمر الوطني" كنقطة انطلاق لتحقيق وحدة المعارضة، يقابله ضرورة اعادة النظر في هيكلية واسلوب عمله، وقد اعربت واشنطن واوساط في المؤتمرالوطني عن استعدادهما للتعاون في هذا المضمار.
- البدء بالاعداد لمؤتمر موسع يضم "المؤتمر الوطني" اضافة الى تيار الوسط الديمقراطي وكافة القوى الراغبة في العمل المشترك. ومن اجل ذلك لابد من لجنة تحضيرية مشتركة ذات صلاحيات تضم ممثلين عن المؤتمر الوطني وتيار الوسط الديمقراطي، اضافة الى اخرين تتولى مهمة الاعداد والتحضير لعقد المؤتمر الموسع. هذا وقد ابدت الادارة الامريكية قناعتها بذلك، كما اعربت قيادة المؤتمر المؤقتة موافقتها من حيث المبدأ.

ان هذه الرؤية المشتركة هي التي مهدت لمشاركة تنظيمات وشخصيات من تيار الوسط الديمقراطي في وفد مشترك مع المؤتمر الوطني في زيارة لواشنطن والالتقاء بالمسؤولين الامريكيين في اواخر ايار 1999، بما شكل نقلة معنوية، ولو محدودة، في طريق وحدة المعارضة العراقية. ولكن اليوم، وبعد مضي اكثر من شهر من الاتصالات والمفاوضات، لم يتوصل الطرفان -القيادة المؤقتة وتيار الوسط- الى صيغة عمل مشتركة لعقد المؤتمر التوحيدي الموسع.

نوايا طيبة تقابلها شكوك متبادلة

ان الافصاح عن النوايا الحسنة ليس كافيا لتحقيقها، فكلا الطرفين (القيادة المؤقتة للمؤتمر وممثلو تيار الوسط الديمقراطي) يشتركان بارث من الشكوك والنظرة "التهميشية" المتبادلة:

فاذا كانت القيادة المؤقتة للمؤتمر تعتبر نفسها الاكثر تمثيلا وفاعلية، فان الطرف الاخر يرى في مشاركتة مع طرف خسر الكثير شعبيا ودوليا، تضحية.

والاشارة الى الثقل الكردي في صفوف المؤتمر يقابله تشكيك في مدى استعداد القوى الكردية، المشغولة بتعزيز مكاسبها القومية، في المجازفة في عملية تغيير لاتعود عليها بالفائدة المباشرة، اضافة الى فشل الطرفين الكرديين الرئيسيين في تجاوز خلافاتهما.

وفي الوقت الذي تصر القيادة المؤقتة للمؤتمر الالتزام بنظامها وخطابها الداخلي، ترى عناصر في الطرف الاخر ان الفشل في عقد الجمعية الوطنية للمؤتمر الوطني خلال سبع سنوات اضافة الى انسحاب الكثير من التنظيمات والشخصيات، هو بحد ذاته خرق للنظام الداخلي ونزع للشرعية.

واذا كان تيار الوسط يرى في نفسه ندا مساوياً للقيادة المؤقتة، فان البعض في القيادة المؤقتة يحاول التعامل مع تيار الوسط كمجرد طرف من الاطراف العاملة خارج المؤتمر، بل وربما اصغر من بعضها. ويرى ان باب "الجمعية الوطنية" للمؤتمر الوطني مفتوح لدخول عناصر من تيار الوسط، في وقت يرى "الوسط" ان الجمعية الوطنية شأن خاص بالمؤتمر الوطني والمطلوب مؤتمر موسع ذو مرجعية اوسع.

وان شعور القيادة المؤقتة باهمية الاحتفاظ باسم "المؤتمر الوطني" يقابله رغبة في اوساط تيار الوسط للتخلص من الارث السلبي للمؤتمر الوطني وذلك باعتماد اسم جديد او معدل يعكس حالة التحول الجديدة في ماهية المؤتمر ودوره.

ان واقع الانقسام الطائفي في صفوف المعارضة دفع البعض في القيادة المؤقتة للنظر الى "تيار الوسط" كمحاولة لترجيح كفة طائفة على حساب اخرى "مظلومة"، في وقت تعتقد بعض عناصر تيار الوسط ان تركيبة "المؤتمر الوطني" تعاني من خلل وعدم توازن طائفي.

ومايزيد الحالة تعقيدا، هناك من يعتبر اي توسيع للمؤتمر الوطني سيكون على حسابه الشخصي او توجهاته السياسية، يقابله اخرون في تيار الوسط لايزالون غير مقتنعين بجدوى التورط وبالتالي "الاحتراق" بتجربة مع طرف اكدت الاحداث "عدم صدقيته"، هذا اضافة الى تباين الامزجة الشخصية وأرث من المناكفات بين شخصيات في كلا الطرفين.

ان فشل القيادة المؤقتة في الوفاء بالتزامها تجاه ممثلي الوسط بشأن تقديم اسماء اعضاء الجمعية الوطنية الخاصة بالمؤتمر الوطني، او تشكيل اللجنة التحضيرية، قد لا يعكس رغبة بعدم التعاون بقدر ما ينم عن اختلافات داخل المجلس التنفيذي.

كما ان لحمة تيار الوسط الحديث النشأة لم تجرب بعد، وبالتالي قد تكون عرضة للانفكاك امام اول عقبة.

ومايزيد الطين بله هناك اطراف ثالثة، خارج القيادة المؤقتة او تيار الوسط قد ترى في نجاح التحالف الجديد تهميشا لدورها مما يدفعها للتشويش عليه.

ان القوى والشخصيات العراقية المعارضة التي ترفض التعاون او التعامل مع الولايات المتحدة، بغض النظر عن دوافعها السياسية او الذاتية، تبقى غير معنية بهذه العملية التوحيدية وهذا من حقها، ولكن ان تجعل محاربة هذه العملية على رأس اولوياتها سيكون اساءة للعمل المعارض العراقي وخدمة مجانية للنظام الحاكم في بغداد.

ما هو البديل عن الاجتماع الموسع للمعارضة؟

نظرة فاحصة لكل ماسبق ذكره من عوامل للاختلاف، رغم اهميتها للبعض، لاتبرر الفشل في تجاوزها خاصة اذا ما اخذنا بعين الاعتبار ضخامة النتائج العكسية المترتبة على مثل هذا الفشل.

ان انتكاسة هذه المحاولة قد لاتحول دون ان تعقد القيادة المؤقتة اجتماعا ولو مبتورا للجمعية الوطنية للمؤتمر الوطني، الا ان ذلك سيكرس عزلته الى الحد الذي قد يفقده ليس الدعم العربي والاقليمي المفقود اصلا، بل حتى الدعم الامريكي. ذكر مارتن انديك مساعد وزير الخارجية الامريكية في اجتماع في الامارات العربية (22 حزيران 1999) مع مسؤولين من وزارات الخارجية بدول مجلس التعاون الخليجي: "نأمل ان تعيد كل الدول العربية في المنطقة التي تريد مستقبلا افضل للعراق النظر في موقفها من المعارضة وان تعمل معها". . واضاف: "ونتوقع ان تعقد [المعارضة العراقية] مؤتمراً يضم كل الفصائل في المستقبل القريب لصياغة ميثاق".

ان فشل القيادة المؤقتة للمؤتمر الوطني في عقد الاجتماع الموسع للمعارضة نتيجة عدم تجاوز بعض العقبات -والتي تبقى بالنسبة لاي مراقب شكلية وثانوية- قد تقنع الادارة الامريكية بعدم جدوى الاستمرار في التعامل معها، وهذا ما سبق ان نفذته عام 1996.

كما ان تيار الوسط الديمقراطي سيكون على خطأ كبير اذا تصور ان فشل المؤتمر الوطني سيجير لصالحه، فقوة تيار الوسط ناجمة من دوره الايجابي في تطوير المؤتمر الوطني، وليس في هده وهدمه.

وفي غياب الدعم العربي او الاقليمي ناهيك الدولي، ستكون فرص تيار الوسط لاستقطاب المعارضة العراقية في اطار سياسي موحد جديد اقرب الى الصفر.

وفي غياب الدعم العربي علينا عدم التفريط بالدعم الدولي وعلى القوى العراقية التي ترى في ذلك الدعم ضرورة لانقاذ العراق ان تدرك ان خيارها الوحيد يكاد يكون في تطوير صيغة المؤتمر الوطني، تماما كما عملت حركة

"فتح" في تعاملها مع "منظمة التحرير الفلسطينية" التي اقامتها الحكومات العربية، ولكنها استطاعت تغيير محتواها مع الاحتفاظ بالاسم والشرعية التي اكتسبتها من اعتراف الحكومات العربية.

ان نجاح القيادة المؤقتة للمؤتمر الوطني وتيار الوسط الديمقراطي في التعاون سيفتح الباب واسعا للاطراف الاخرى للانضمام بما يعيد حقا الحياة والثقة بالمعارضة العراقية وهذا ليس بالانجاز البسيط.

(الملف العراقي، العدد 91 - تموز 1999)

❋ ❋ ❋